قدر ما نعني في تهذيب انفسنا وترويضها كان انّ من يهذب نفسهُ خير ممّن يملك على مدينة واولى باعتبار من سواهُ ولو انهُ من اكابر الامراء والقياصرة فانّ افادتهُ جنسنا البشري لا تنحصر على ما يكون منهُ من التعليم والقدوة والتأليف مدى حياتهِ بل تمتد الى الجنس عن طريق الوراثة فيترك ما كان من آثار انعابهِ ومزاولتهِ امر تهذيب نفسهِ منتقشًا على مجهزات بنيهِ وبني بنيهِ الى ما شاء الله ولا يخفى ما في ذلك من رفعة الانسانيّة وارتقاء المدارك العاقلة في الجنس عمومًا كل ذلك تقدير الحكيم الخبير واذا لم يكن ثمّ من باعثٍ يبعثنا على تهذيب انفسنا وتدريبها في ما هو مستحسن سوى هذا الباعث فكفى بهِ باعثًا يهون علينا مشاق الدرس وعناء اليقظة والسهر لادراك اسمى التصورات والتحلي بحلى الفضائل والكمالات فنظهر فينا غاية كمالاتهِ ويتجلّى فينا شيءٌ من مجالي علمهِ وحكمتهِ

الانتحار

اي قتل النفس

محبة الحياة فطرة في الانسان بل هي اقوى ما فُطر عليهِ ولذلك يلفت علماء الاخلاق والآداب الى الانتحار اي قتل النفس كانهُ عمل من اغرب الاعمال التي يقدم عليها الانسان ومع هذا فما من احد الاّ ورغب في الموت ولو مرةً في حياتهِ وعزم ان يصرم حبل حياتهِ ولكن محبة الحياة تقاومهُ فيعدل عن عزمهِ واما اذا اشتدّ عزمهُ ولم يقوَ على مقاومتهِ فقد ينتحر اي يقتل نفسهُ ليتخلّص من مضض العيش

قيل ان الاستاذ مير خطب مرةً في جمهور كبير في مدينة باريس وقال ما من احدٍ الاّ وقد ودّ الموت ولو مرةً في حياتهِ فان وُجد بينكم مَن لا يصدق عليهِ هذا القول فلينا قضني علانيةً فصمتوا جميعهم ولم يناقضهُ احد منهم

ومما لا مرية فيهِ ان الانتحار يزداد رويدًا رويدًا في اوربا واميركا وفي كل البلدان التي انتشر فيها التمدّن الاوربي ولذلك فلفت الافكار وبحث بعض العلماء بحثًا طويلاً في هذا الموضوع واستقروا حوادث الانتحار ليروا علاقتها بالشعوب والمذاهب والاحوال الاجتماعيّة كلها . وها نحن موردون نتائج مباحثهم وقد اقتطفناها ما كتبهُ الدكتور مورسلي والدكتور بلغرم والدكتور كربنتر والشهير دارون وغيرهم فنقول

لقد ظهر بالاستقراء انّ عدد الذين ينتحرون سنويًا قد زاد في بلاد النمسا بين سنة

١٨٦٠ وسنة ١٨٧٨ من صبعين الى ١١٢ في كل مليون من السكان وفي بلاد بروسيا قد زاد بين سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٧٨ من ٧١ الى ١٤٤ من كل مليون . وفي جرمانيا كلها قد زاد بين سنة ١٨٣٥ و١٨٧٨ من ١١٧ الى ٢٨٩ . وفي فرنسا زاد بين سنة ١٨٢٧ و١٨٧٧ من ٥٣ الى ١٤٩ . وظهر ايضاً ان الانتحار على اكثره في المدن الكبيرة وعلى اقلهِ في القرى الصغيرة وبين الفلاحين وحيث يجد كل انسان عملاً يعمل بهِ ففي بلجكا مثلاً زاد بين سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٧٦ من ٢٩ الى ٣٨ فقط من كل مليون وفي اسوج ونروج زاد من ٢٩ الى ٨٠

والانتحار على اقلهِ في ايطاليا واسبانيا وارلندا والبرتوغال وعلى اكثرهِ في سكسونيا والدانيمرك . واذا نظرنا اليهِ من حيث المذهب وُجد انهُ على اقلهِ بين المتمذهبين بمذهب الروم الارثوذكس وعلى اكثرهِ بين المتمذهبين بمذهب البروتستنت واما بين المتمذهبين بمذهب الكاثوليك فهو بَيْنَ بَيْنَ فقد كان متوسط المنتحرين في بلاد الروم ٤٠ في المليون وفي بلاد الكاثوليك ٥٨ في المليون وفي بلاد البروتستنت ١٩٠ في المليون وفي البلدان المتزجة من الكاثوليك والبروتستنت ٩٦ في المليون هذا بموجب استقراء الدكتور مورسلي واما استقراء وغنر واوتنجن وليغوت فيدل على ان متوسط المنتحرين بين الروم ٣٦ في المليون وبين اليهود ٤٨ وبين الكاثوليك ٦٤ وبين البروتستنت ١٠٣ . وقد علّل ذلك الدكتور مورسلي بكثرة شيوع المذاهب العقلية بين البروتستنت وفرقهم الخفافة فتجهد قوى العقل بذلك حتى اذا توالت النكبات على الانسان وودّ انفصام حبل الحياة ضعفت ارادتهُ عن مقاومة هذا الميل فيورد نفسهُ حتفها ولذلك يكثر الانتحار في جرمانيا حيث شاعت المذاهب الفلسفيّة وكثر اجهاد العقول وفي شمالي فرنسا حيث امتدّت هذه المذاهب ايضاً . واما في بلاد الانكليز حيث المذاهب الفلسفيّة قليلة والناس مشتغلون عن الفلسفة بتدبير المعاش فالانتحار غير كثير . والغريب انهُ غير متزايد فيها بل جارٍ على وتيرة واحدة تقريباً منذ ثلاثين سنة الى الآن فقد كان متوسطهُ بين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٨٦ خمسة وستين في المليون فصار متوسطهُ في الخمس السنين التالية ٦٦ في المليون وفي الخمس السنين التي بعدها ٦٧ في المليون وفي الخمس التي بعدها ٦٦ في المليون وهذا يؤيد القاعدة الكليّة التي وضعها الشهير بكل وهي ان احوال الاجتماع الانساني اذا لم تتغير تغيّرًا عظيمًا بقي عدد المنتحرين على حالهِ فيمكننا الانباء عنهُ قبل وقتهِ

واسباب الانتحار كثيرة كالافلاس والكرب والحب والغيرة والاهانة والندامة فكانت

القائد الروماني الشهير انتحر لكي لا يعيش في استبداد يوليوس قيصر وبُستكليس انتحر لكي لا يدل الفرس على مداخل بلادهِ . وهانيبال ومثريدانس انتحرا سمومَين . وشاول الملك سقط على سيفهِ لكي لا يقع حيًّا في ايدي الفلسطينيين وماركوس انطونيوس سقط على سيفهِ وانتحر غيرةً على كليوبترا وهي قتلت نفسها حزنًا عليهِ . واكثر المنتحرين يكون سبب انتحارهم خال في عقولهم او الحب والغيرة

وقد وضع الاستاذ تلبون جدولاً لعدد المنتحرين ذكر فيهِ نسبتهم بعضهم الى بعض من حيث كونهم رجالاً او نساء عزبًا او متزوجين وهو هذا

من الرجال المتزوجين الذين لم اولاد	٣٠٥
" " " " لا اولاد لهم	٤٧٠
" " الذين ماتت نساؤهم ولم اولاد	٥٢٦
" " " " " ولا اولاد لهم	١٠٠٤
من النساء المتزوجات اللواتي لهنَّ اولاد	٤٥
" " " " لا اولاد لهنَّ	١٥٨
من الارامل اللواتي لهنَّ اولاد	١٠٤
" " " لا اولاد لهنَّ	٢٣٨

ويظهر من ذلك ان العقم يزيد عدد المنتحرين او ان بينهُ وبين الانتحار علاقة ما فيتضاعف بهِ عدد الرجال المنتحرين وبذلك عدد النساء المنتحرات . وان المنتحرين اكثر من المنتحرات . وقد بيَّن الدكتور بلغرم ان ذلك يكون كذلك فيما اذا كان الرجال والنساء عاقلين واما اذا كان الرجال والنساء مختلي الشعور فالمنتحرات قدر المنتحرين او يزدن عليهم . والظاهر ان تعرُّض الرجال لنوائب الدهر وقلق البال تزيد دواعي انتحارهم واما اذا اشتركوا هم والنساء بالجنون استووا معهم في الانتحار . والنساء اشدُّ تديناً من الرجال واكثر خوفًا من عواقب الانتحار فلا يقدمنَ عليهِ كثيرًا واما اذا كان التديُّن يوجبهُ عليهنَّ كما توجب ديانة الهنود على المرأة ان تحرق نفسها مع جثَّة زوجها فانتحارهنَّ على هذه الصورة كثير جدًّا

ويكون الانتحار على اقلهِ في شهري اكتوبر ونوفمبر وعلى اكثرهِ في ابريل ومايو ويونيو ويكون كثيرًا ايضًا في يوليو واوغسطس اي انهُ يزيد بطول النهار ويقل بقصرهِ كأنَّ طول النهار يجهد قوى الانسان فلا يستطيع مقاومة دواعي الانتحار

وظهر من احصاء المسيو غري ان الانتحار يكون على اكثره في العشرة الايام الاولى من الشهر وفي الايام الاولى من الاسبوع. وسبب ذلك ان العملة يأخذون اجورهم في آخر الشهر او آخر الاسبوع فاذا رأوا الدراهم كثيرة بين ايديهم اقبلوا على السكر والفجور وقادهم ذلك الى الانتحار هذا من قبيل الرجال واما النساء فيكثر انتحارهنّ في اواخر الاسبوع اي حينما تثبت لهنّ خيانة الذين اغرموهنّ

ويحدث الانتحار على اكثره بين الساعة السادسة صباحًا والظهر حسابًا افرنجيًّا ثم يقلّ رويدًا رويدًا حتى يبلغ اقله الساعة الرابعة بعد نصف الليل كما ظهر من مقابلة ١٩٩٣ حادثة

واذا اراد الرجل ان ينتحر عَمَدَ غالبًا الى الريفولفر او الموسى او الحبل واما المرأة فقلما تنتحر بواسطة تشوّه منظرها والغالب انها تعتمد على السم او الغرق

وقد يفشو داء الانتحار كما تفشو الامراض الوبائية مثال ذلك ما حدث في فرسايا سنة ١٧٩٣ فانهُ انتحر فيها حينئذٍ ١٢٠٠ شخص في سنة واحدة . وذكر اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي في مقالتهِ على الموت انهُ لما انتحر أنو الامبراطور مات كثيرون شفقةً عليهِ . وقال فلوطرخس المؤرخ ان نساء ملينس حننّ الى ازواجهنّ وكانوا قد غابوا عنهنّ زمانًا طويلاً فانتحرنَ

ويفشو الانتحار بالقدوة فاذا انتحر انسان على اسلوب جديد وذاعت طريقة انتحارهِ اقتدى بهِ كثيرون من الذين كانوا يقصدون الانتحار وانما يمنعهم عنهُ عدم اهتدائهم الى واسطة يقتدرون بها او انهم لا يزالون مترددين في الامر

ومن اغرب ما جاء في تاريخ الانتحار وتناقلتهُ الكتب والجرائد ما ذكرهُ الدكتور برجير وهو ان رجلاً ايطاليًّا صنع صليبًا كبيرًا ووضع عليهِ شبكةً مكّنها فيهِ وعلقهُ بحبلين وعلّق الحبلين بخشبة فوق الكوّة التي في غرفتهِ وكانا طويلين بحيث يبقى الصليب على الارض . ثم وضع اكليل شوك على رأسهِ وتعرّى من ثيابهِ ودخل في الشبكة وسمّر رجليهِ واحدى يديهِ بالصليب وطعن جنبهُ بحربة وجعل يدفع الصليب رويدًا رويدًا من الكوّة وكانت على مستواة ارض الغرفة حتى خرج منها ووقف خارج الغرفة معلقًا بالحبلين مدلدلاً . وحينئذٍ رآهُ المارّة فاسرعوا لانقاذهِ وانزلوهُ عن الصليب قبل ان يقضي نحبهُ وداووهُ فشفي ولكنهُ عاش بقية حياتهِ مصابًا بالسوداء

والذين يقصدون الانتحار لعلّة دماغيّة قد يخترعون من الحيل ما يقصر عنهُ اعتل

العقلاء وما لو زاولوهُ لقضاء عمل نافع لانمُوهُ احسن اتمام . ذكر الدكتور ونتر ان رجلاً مختل الشعور عَلِم من امرهِ انهُ عازم على الانتحار فرتب اشد المراقبة مدة ثمانية اشهر ولم يترك عندهُ شيئاً ما يمكنهُ ان يستعملهُ للانتحار . وذات يوم وجدوهُ قد شق نفسهُ بفواتح سريرهِ ومات . وكان قد جمع كل خيط وصل الى يدهِ مدة الثمانية الاشهر فجدل منها حبلاً متيناً وشنق نفسهُ بهِ . ونحن نعرف رجلاً يئس من الحياة لمرض سوداوي فحاول قتل نفسهِ مراراً ولما رأى ان ذويهِ لا يمكنونهُ من ذلك ادّعى ان بهِ المًا في امعائهِ وجعل يأخذ دواء مسكناً ويخفيهِ ويدعي انهُ تجرعهُ وغايتهُ ان يجمع منهُ كمية كافية لقتلهِ ويتجرعها دفعةً واحدة ولكن حيلتهُ اكتُشفت قبل ان اودى بحياتهِ . ومنذ مدة حاول احد المجانين قتل نفسهِ وعُرف ذلك فأُدخل الى غرفة ومُنعت عنهُ كل الادوات والوسائط التي يمكنهُ ان يقتل نفسهُ بها فاقام في سريرهِ ثلاثة ايام بدون ان يحاول الانتحار وبعد ذلك وثب على حين غفلة الى كوّة عالية فيها زجاج فكسرهُ واخذ قطعة منهُ وغرزها في نحرهِ . وسمع الحرّاس صوت وثوبهِ ففتحوا الباب ودخلوهُ وامسكوهُ ودعوا الاطباء فاوقفوا الدم بالرباط وهو يحاول نزعهُ ولما رأى انهم ربطوا يديهِ ومنعوهُ عن نزع الرباط حصر نفسهُ في صدرهِ وشدّ بكل قوتهِ فانشقت رقبتهُ من عند الجرح وانقطع عن الطعام فمات بعد مدة وجيزة

وذكر الدكتور اوبنهيم ان رجلاً ذبح نفسهُ ذبحاً ولم يحسن الذبح فلم يمت الاّ بعد عذاب شديد وأتى يجثتهِ الى الدكتور اوبنهيم ليشرحها فقال لرجل واقف امامهُ وهو يزرج "اذا انحررتَ فلا تفعل كما فعل هذا بل اوصل السكين الى الجهة اليسرى فتقطع الشريان السباتي وتموت حالاً". وكان هذا الرجل عاقلاً حازماً مشهوراً بالرصانة وهو في سعة من العيش ولهُ عائلة كبيرة ولم يظهر عليهِ قبلاً انهُ كان مائلاً الى الانتحار ولم يكن ما يدعوهُ الى ذلك ولكن ارشاد الدكتور اوبنهيم رتع في ذهنهِ فذهب وحاول الانتحار ولم يفلح في قطع الشريان السباتي فتداركهُ ذووهُ وعالجوهُ فنجا من الموت

وجميع الشعوب القديمة متفقة على احتقار المنتحر فالعبرانيون كانوا يساوون بينهُ وبين المقتول ضبراً لجناية فيدفنونهُ بعد مغيب الشمس . والارمن يلعنونهُ ويحرقون البيت الذي انتحر فيهِ واليونان كانوا يحرقون موتاهم اكراماً لهم واما المنتحر فيوارونهُ التراب حالاً ولا يحرقونهُ لئلاّ يختلط النار الطاهرة بهِ . وكانت الحكومة الانكليزية تستولي على اموال المنتحر كلها وتدفنهُ على قارعة الطريق بعد ان تدق وتداً في بدنهِ . ولكن احتقار الانتحار ليس

شائعًا بين كل الشعوب فزنوج غربي افريقية ينتحرون كثيرًا وذلك ليس عارًا عندهم واهالي جنوبي اميركا تكثر الانتحار بينهم بعد دخول الاسبانيول الى بلادهم ولم يكونوا يأنفون منهُ

وقد يعرض للانسان عارض عقلي يدعوهُ الى قتل غيرهِ فلا يرى لهُ مناصًا من ذلك الاَّ بقتل نفسهِ . من ذلك ان رجلاً اسمهُ هُد المتن كان من كتَّاب الجرائد المشهورين وفي احد الايام وُجد منتحرًا وبجانبهِ ورقة من خطهِ يقول فيها انهُ قام في نفسهِ ميل يدفعهُ كرهًا الى قتل الناس وولد لهُ ولد فاول ما وقعت عينهُ عليهِ رأى نفسهُ مدفوعًا الى قتلهِ فلم يرَ سبيلاً لتبريد غلتهِ الاَّ بان قتل نفسهُ

والآن قامت طائفة من العلماء تقول ان الانتحار لا يحدث الاَّ عن خلل في العقل وخالفتهم طائفة اخرى حتى قال الدكتور غراي ان اكثر المنتحرين من اعقل الناس

والباحث المدقق يرى ان البعض ينتحرون لخلل في قوام العقليَّة والبعض انفةً او غيظًا والبعض وهم الاكثر لاسباب اجتماعيَّة تتعلَّق بسوء تربيتهم وتعليمهم . وانهُ اذا أُحسنت تربية الناس الدينيَّة والاديبيَّة وجب ان يقل الانتحار من بينهم واما ما زعمهُ بعض الفلاسفة مثل هيوم وروسو وغيرهما من ان الانسان لا يطالَب اذا انتحر ليتخلص من محن الحياة فلا يوجد بو الاَّ عند من ينفي الخلود ويعتقد ان الموت نهاية كل حي

والانتحار قليل جدًّا في مصر والشام واكثر بلدان المشرق وقلتهُ دليل على اتساع ابواب الرزق ولو بالتسوُّل وعلى ان الآداب وخوف العقاب ورجاء الثواب اعرق في نفوس المشارقة . وعسى ان لا تشيع هذه العادة الذميمة بيننا ولا يعدل اهالي المشرق عن خطتهم وهي احتقار المنتحر وحرمان جثتهِ من رسوم الاكرام

درع فرنسيس الاول ملك فرنسا

اشترى السر انثني رتشياد هذه الدرع بمئة جنيه وباعها الى اللورد اشبرنهام بالف جنيه . ثم باعها هذا اللورد باربعة آلاف جنيه والذي اشتراها باعها بعد اربع وعشرين ساعة بسبعة عشر الف جنيه ووُضعت حينئذٍ في دار التحف في ساحة بلغراف . ثم حرقت تلك الدار فدفنت تحت الردم واحتفرت بعد ذلك وبيعت بثمن بخس كأنها قطع من الحديد ولكن لم يمض وقت طويل حتى عرفت حقيقتها فاشتراها المستر مبتزر الباريزي باثني عشر الف جنيه